

السيد المسيح (عليه السلام) في كلمات نهج البلاغة



السيد المسيح (عليه السلام) في كلمات نهج البلاغة

بسمه تعالى

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة: (وَإِنْ شِئْتُمْ فَلْتُمْ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ (عليه السلام)، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَسِرَّاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَطَلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَفَاكِهِتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْدِيَتُ الْأَرْضُ لِلْبَيْهَاتِمِ وَالْمُتَكُونِ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَلَا وَلَدٌ يَحْرُنُهُ وَلَا مَالٌ

يَلَا فِتْنَهُ وَلا طَمَعٌ يُذِلُّهُ دَابَّتُهُ رَجْلاًهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ)

يعلمنا الإمام (عليه السلام) في هذه الكلمات القصار، درسا في الزهد في هذه الدنيا، والابتعاد عن زخرفها الذي يُوقِع الانسان في شباكه، والورع وعدم التصارع عليها والتهالك فيها، فمثل هذه الدنيا لا تستحق أن يذل الإنسان نفسه من أجلها، ولولا ذلك لما أعرض عنها نبي الله عيسى المسيح (عليه السلام)، وسائر أنبياء الله وأولياؤه، من خلال وصفه لذلك النبي العظيم الذي (كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ)، فلا فراش يأوي اليه، ولا بيت يعيش فيه، وغالبا ما يجعل الحجر وسادة فينام عليه، وهو (يَلْبَسُ الْخَشَنَ وَيَأْكُلُ الْكُلَّ الْجَشَبَ)، فلا لباس ناعم يغيره، ولا طعام لذيذ وشهي يروق له، فيلبس اللباس الخشن ويأكل الطعام الغليظ، بل (كَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ)، وأي وصف أرقى من ذلك في هذا النبي الزاهد حيث يبحث الناس عن الإدام الجيد كاللحم والخل والملح ليطيب لهم الطعام، بينما هو إدامه الجوع، فقد روَّض نفسه الشريفة على ذلك وقبلت منه طائفة كريمة.

ولم يعتمد على شمعة تنير له الليل أو سراج، وإنما (سَرَّاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرِ وَطَلَّالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا)، ولا ينشغل بالذائد دون خالقه ومناه، فلا رياحين يشمها، ولا فاكهة يطيب له طعمها، ولا زوجة تفتنه بجمالها وحسنها، ولا ولد يحزنه ما يصيبه من عوارض الدنيا، ولا مال يُدخله في زخارف الدنيا، وإنما (فَاكِهَتُهُ وَرَيَحَانُهُ مَا تُنْدِيَتُ الْأَرْضُ لِلْبَاهَاتِمِ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَلا وَلَدٌ يَحْزِنُهُ)، ولم يسيطر عليه الطمع قط فكان عزيزا بالله تعالى (وَلا طَمَعٌ يُذِلُّهُ)، فصبر نفسه وروَّضها، لتكون دائما الخدمة والحضور بين يدي الله تعالى، فصار (دَابَّتُهُ رَجْلاًهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ)، (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) مريم: 34

وما أحوج الناس التي تنتسب لعيسى المسيح ظاهرا في يومنا هذا الى الاقتداء به والسير على هداه بدلا من الإيغال في هذه الدنيا والغرق في ملذاتها، بل الوقوع في محرمتها والله المستعان.

فيحثنا أمير المؤمنين (عليه السلام) - جميعا - للسير على منهاج وهدي هذا النبي الكريم، حيث يقول: (يَا زَوْفُ طُوبَى لِمَنْ لَزَّ أَهْدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بَسَاطًا وَتَرَابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالْقُرْآنَ شِعَارًا، وَالدُّعَاءَ دِثَارًا، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرَضًا عَلَيَّ مِنْهَا حَاجِ الْمَسِيحِ)

قوله (عليه السلام): (قرضوا الدنيا قرضا)، أي تناولوا من الدنيا بأطراف أسنانهم كناية عن زهدهم وترفعهم عنها في قبال أولئك الذين خصموا الدنيا وأوغلوا فيها: (وَقَامَ مَعَهُ بَدُو أَيْبِهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِصْمَةً إِلَّا بِلِ نَبِيَّةَ الرَّبِّ بَيْع)

هذا هو منهج السيد المسيح (عليهم السلام)، فأين أولئك الذين ينسبون أنفسهم للسيد المسيح ظاهرا هل ساروا على هذا المنهج وهل حفظوا تعاليمه وتضحياته، وما نراه اليوم في عالم الغرب، لهو جواب واضح لهذا السؤال

أما نحن المسلمون فلدينا علاقة وطيدة وحميمة مع السيد المسيح - فمضافا الى أنسبه نبي من أنبياء أولي العزم كلنا أيمان به، وطاعة له - من حيث أنسبه بشرنا بالنبي الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله): (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي اسْمُهُ أَذْهَبُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِين) الصف: 6 ، وأنه سينصر الإمام المهدي الموعود (عليه السلام) في آخر الزمان ليملا الأرض قسطا وعدلا، كما في الرواية عن الإمام المجتبي عليه السلام): (ما منّا أحدٌ إلا ويقع في عنقه بيعةٌ لطاغية زمانه، إلا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى عليه السلام)

وكم هي المشتركة كثيرة بين هذا المنهج الفذ للسيد المسيح، وسيرة أمير المؤمنين (عليهما السلام)، وهو المطلوب من الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، فحينما يرى الناس المحرومون أن أولياء الله تعالى وأكرم خلق الله عليه هذه حياتهم ملأها ال

زهد والإعراض والترفع عن ملذات الدنيا، سيخف ألمهم، وتهون معاناتهم، ويتضح لدى الجميع حينئذٍ، كم هي وضیعة هذه الدنيا!، فلا تستحق التصارع والتكالب عليها

فهذا أمير المؤمنين (عليه السلام) يجيب عاصم بن زياد حينما شكاه أخوه زياد اليه: (قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْزَلَتْ فِي خُشُونَةٍ مَلَأَتْ سِرْجَكَ وَجُشُونَةٍ مَلَأَتْ كَلْبَكَ!، قَالَ: وَيَحْكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْزَلَتْ إِنْ لَمْ يَلَمْ اللَّهُ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيَّ أَلِيمَةً الْعَدْلِ أَنْ يُقَدَّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْدًا لَا يَتَّبِعِي غَيْرَ بِالْفَقِيرِ فَقَرُّهُ)

وهو القائل: (ألا وإنَّ لكلِّ مؤمِّنٍ إمامًا يفتتدي به - ويستضيء به - بنور

عِلْمِهِ أَلا وَإِنِّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ وَمِنْ طُعْمِهِ
بِقُرْصِيهِ أَلا وَإِنِّ زَكُّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَيَّ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ
وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ ... وَإِنِّ مَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى
لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ وَتَثْبُتَ عَلَيَّ جَوَانِبِ الْمُزْلَقِ وَالْوُ
شْتِ تُلَاهِتُ دَيْتُ الطَّرِيقِ إِلَيَّ مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَالْبَابِ هَذَا الْقَمَحِ
وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي
إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ وَالْعَلِّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَاطَمَعَ لَهُ فِي
الْقُرْصِ وَالْأَعْهَدِ لَهُ بِالشَّبِيحِ أَوْ أَبَيْتِ مِبْطَانَاً وَحَوْلِي بِطُونٌ غَرَّتِي
وَأَكْبَادُ حَرَّتِي أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِبِطْنَةَ * وَحَوْلِكَ أَكْبَادُ تَحْنُ إِلَى الْقَيْدِ

أَ أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي
مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونُ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ ... وَايُّمُ اللّهِ
يَمِينًا أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللّهِ - لِأَرْضِنَ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَيَّئُ
مَعَهَا إِلَيَّ الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا وَتَقْنَعُ بِالمِلْحِ مَا دُومًا
وَلِأَدْعَنَ مُقْلَاتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرَغَةً دُمُوعَهَا

وقد تابع أمير المؤمنين (عليه السلام) القرآن الكريم في تسمية نبي ﷺ عيسى بالمسيح، وقد قيل في
سر هذه التسمية احتمالات متعددة:

منها: أنَّهُ مُسَحَّ بِالْيَمَنِ وَالْبِرْكَهَ، فَكَانَ وَجُودُهُ الشَّرِيفَ يُمْنًا وَبِرْكَهَ عَلَى الْخَلْقِ

ومنها: لِأَنََّّهُ مَطْهَرٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَعَيْبٍ

ومنها: لِأَنَّ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) مَسَحَهُ بِجَنَاحِهِ

ومنها: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) كَانُوا يَتَمَسَّحُونَ بِهِ تَبْرَكَ

ومنها: أَنََّّهُ كَانَ يَمْسَحُ الْأَعْمَى فَيَبْصُرُ، وَيَمْسَحُ الْأَبْرَصَ وَالْأَكْمَهَ، فَيَعْفَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَمَا يَخْبِرُنَا

القرآن الكريم؛ (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدَتْ تُسُوكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا
وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ
الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي
وَتُبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ
كَفَفْتُ بِدَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ إِنَّا لَنُحِبُّ الْإِلَاحَ سِحْرًا مُّبِينًا) المائدة: 110 ، (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ
وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) مريم: 15

ميثم الفريجي

النجف الأشرف

30 ربيع الثاني 1441 هـ